

أضواء البيان

@ 179 @ وضعف الممات . أي مثلي عذاب الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الآخرة . وبهذا جزم القرطبي في تفسيره . وقال بعضهم : المراد بضعف عذاب الممات : العذاب المضاعف في القبر والمراد بضعف الحياة : العذاب المضاعف في الآخرة بعد حياة البعث . وبهذا جزم الزمخشري وغيره . والآية تشمل الجميع ، وهذا الذي ذكره هنا من شدة الجزاء لنبيه لو خالف بينه في غير هذا الموضع . كقوله : { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَٰلِيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ } . . . وهذا الذي دلت عليه هذه الآية من أنه إذا كانت الدرجة أعلى كان الجزاء عند مخالفة أعظم بينه في موضع آخر . كقوله : { يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ الذَّبِّيْ مَن يَأْتِ مِنْكُم بِفِتْرَةٍ سَخَّطْنَا لَكَ الْوَتِينَ } . . . كقوله : { وَلَقَدْ أَجَادَ مِنْ قَالَ : وَلَقَدْ أَجَادَ مِنْ قَالَ : وَلَقَدْ أَجَادَ مِنْ قَالَ : } . . . وكبائر الرجل الصغير صغائر % وصغائر الرجل الكبير كبائر % . تنبيه .

هذه الآية الكريمة أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا صلى الله عليه وسلم من مقارنة الركون إلى الكفار ، فضلاً عن نفس الركون . لأن { وَلَوْ لَا } حرف امتناع لوجود . فمقارنة الركون منعتها { وَلَوْ لَا } الامتناعية لوجود التثبيت من الله جل وعلا لأكرم خلقه صلى الله عليه وسلم . فصح يقيناً انتفاء مقارنة الركون فضلاً عن الركون نفسه . وهذه الآية تبين ما قبلها ، وأنه لم يقارب الركون إليهم البتة . لأن قوله { لَقَدْ دَرَكْتَنَّهُ تَرْكَنُهُ إِنْ لَيْسَ بِهِمْ شَيْءٌ } أي قاربت تركن إليهم هو عين الممنوع ب { وَلَوْ لَا } الامتناعية كما ترى . ومعنى { تَرْكَنُهُ إِنْ لَيْسَ بِهِمْ } : تميل إليهم . ! 7 7 ! قوله تعالى : { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } . قد بينا (في سورة النساء) : أن هذه الآية الكريمة من الآيات التي أشارت لأوقات الصلاة . لأن قوله { لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } أي لزوالها على التحقيق ، فيتناول وقت الظهر والعصر . بدليل الغاية في قوله { إِنْ لَيْسَ غَسَقَ السَّيْلِ } أي ظلامه ، وذلك يشمل وقت المغرب والعشاء . وقوله { وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ } أي صلاة الصبح ، كما تقدم إيضاحه وأشرنا للآيات المشيرة لأوقات الصلوات . كقوله : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفَاً مِّنَ اللَّيْلِ } ، وقوله : { فَسُبِّحْ حَانَ اللَّيْلِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ } . وأتممنا بيان ذلك